دور الأسر الحاكمة في رعاية النهضة في أوروبا_آل مدتشي في فلورنسا الإيطالية نموذجا_

The role of the ruling families in sponsoring the renaissance in Europe_The Medici family in Florence, Italy, as a model_

تاريخ الاستلام: 2023/01/19 تاريخ القبول: 2023/05/16 تاريخ النشر: 2023/06/18

رقيـــة عليـــــوش [1] *

جامعة صالــح بوبنديـر – قسنطينة 3 (الجزائر)

Email : rokia.alliouche@univ-constantine3.dz

حسيـــــن أمزيـــان [2]

المدرسة العليا للأساتذة آسيا حبار– قسنطينة (الجزائر)

Email: amezianeensdec@gmail.com

الملخص:

تتناول هذه الدراسة أحد الجوانب المهمة في تاريخ أوروبا؛ ويتعلق الأمر بالدور الريادي الذي لعبته إيطاليا بصفة عامة وفلورنسا بصفة خاصة في رعاية النهضة الأوروبية ودعمها، حيث كانت فلورنسا المهد الأول لظهور النهضة وذلك راجع إلى عدة عوامل أهمها الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي الذي عرفته المدينة.

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أسرة آل مدتشي الذين حكموا المدينة و أثبتوا مهارتهم وحنكتهم السياسية من خلال التغلب على منافسيهم في الوصول إلى السلطة وتسخير إمكانياتهم المادية وميولاتهم الأدبية والفنية في رعاية الحركة الإنسانية عن طريق دعم الفنانين والأدباء وتشييد المكتبات والمجمعات العلمية فجعلوا فلورنسا بحق عاصمة أوروبا الثقافية.

الكلمات المفتاحية: *النهضة، إيطاليا، فلورنسا، آل مدتشي*

Abstract:

This study deals with an important aspect in the history of Europe; The matter is related to the pioneering role played by Italy in general and Florence in particular in sponsoring and supporting the European Renaissance, as Florence was the first cradle for the emergence of the Renaissance, due to several factors, the most important of which was the political stability and economic prosperity that the city knew.

This research aims to highlight the Medici family who ruled the city and proved their skill and political sophistication by overcoming their competitors in accessing power and exploiting their material capabilities and their literary and artistic tendencies in caring for the human movement through supporting artists and writers and building libraries and scientific complexes, so they made Florence the right of the capital Cultural Europe.

Keywords*: Renaissance. Italie, Florence, the Medici family.*

* المؤلف المرسل: رقيـة عليـوش

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 17/ العدد 01 –السنة 2023 ص ص 885-910
EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8151

مقدمة:

يكشف لنا التاريخ عن الإمكانات الهائلة التي توفرها المدن، لإحداث تحولات عميقة، وتوفير الشروط الضرورية لانتقال المجتمع من نمط حياة إلى آخر، وفلورنسا واحدة من هذه المدن التي مكنها تمثلها لتاريخ إيطاليا العريق، واستفادتها من استمرار العلاقة بين الإيطاليين والعالمين الإسلامي والمسيحي، حيث كانت السباقة في عرض الحدود التي يمكن لوظائف المدينة النموذجية أن تبلغها، لتساهم بذلك في جعل إيطاليا مهدا للنهضة.

شهدت مدينة فلورنسا تحولات كثيرة على مر تاريخها بداية باستيطان قبائل الأتروسك إلى غاية قيامها كجمهورية مستقلة بفضل جهود سكانها الذين وحدوا صفوفهم، بالرغم من انتمائهم إلى طبقات اجتماعية مختلفة، للتخلص من السلطة الاستبدادية في المدينة، ومعالجة الفوضى السياسية التي سادتها، وهو ما نتج عنه سقوط حكومة ألبيزي ووصول آل مدتشي إلى الحكم، فكان هذا التحول بمثابة نقلة كبيرة من حكم الأقلية المستبدة طيلة العصور الوسطى إلى عهد جديد عرفت المدينة خلاله أرقى محطاتها التاريخية.

لقد طال هذا التغيير جوانب شتى، وبصفة خاصة الحياة الاقتصادية التي تعكس الدور الذي لعبته فلورنسا في إعادة الأهمية للبحر المتوسط الأمر الذي جعل منها حلقة اتصال بين الشرق والغرب، والعامل الذي سيؤدي إلى ازدهار التجارة الداخلية في إيطاليا ثم في أوروبا، ومن ثمة إلى نقل المجتمع من النظام الإقطاعي إلى البورجوازي.

وفر الرخاء الاقتصادي الذي شهدته المدينة حالة من الاستقرار، أوجدت الجو المناسب لسكانها من أجل تطوير أنفسهم في كافة المجالات الثقافية، الفنية والعلمية، فظهرت في المدينة تحت رعاية حكامها من آل مدتشي حركة جديدة قامت أساسا على اكتشاف الإنسان، بعد أن أدركت عظمته وقدرته على التغيير، وأفسحت المجال أمامه للتعبير والإبداع، فكان ذلك سببا في بروز مجموعة من المثقفين والفنانين الذين استفادوا من دعم الأسر الثرية لهم، فأنتجوا أعمالا خالدة ظلت شاهدة على عظمتهم.

في سياق المنهج الوصفي التاريخي وأدواته من تحليل ونقد تبلورت الإشكالية الرئيسية للبحث والتي تتمحور حول النقاط التالية:

كيف تمكن المجتمع الأوروبي من التخلص من سيطرة الكنيسة وقيود العصر الوسيط الإقطاعي؟ ماهي علاقة التحولات الاقتصادية التي بدأت تظهر في أوروبا عامة وفلورنسا خاصة بتشكيل المجتمع الجديد؟ لماذا بدأت النهضة من فلورنسا وليس من مكان آخر في إيطاليا؟ كيف تمكنت فلورنسا من الثورة على النظم القائمة في العصر الوسيط، وإحداث القطيعة ليس فقط بينها وبين ماضيها، ولكن أيضا تحولها إلى مركز إشعاع ساهم في ظهور أوروبا جديدة؟ وإلى أي مدى بلغ دور الأسر الغنية في فلورنسا –آل مدتشي– في دعم النشاط الفكري و الفني في عصر النهضة في المدينة وإيطاليا عامة؟

2. مفهوم النهضة الأوروبية:

هي حركة التجديد والبعث والإحياء للحضارة القديمة اليونانية واللاتينية، كما توصف بتلك التحولات العميقة التي حدثت في أوربا في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية والعلمية. كما تعرف بتلك التغيرات الكبيرة التي طرأت على المجتمع الأوربي في الفترة الواقعة بين العصور الوسطى والعصر الحديث أي بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر، ويذهب البعض في وصفها بأنها حركة إحياء الدراسات القديمة وظهور الفكر العقلاني، وقد ظهرت في إيطاليا قبل غيرها ثم انتقلت إلى البلاد الأوربية الأخرى (ز.عصمت، 1986، ص 73).

ويذهب بعض المؤرخين إلى القول بأنه لا يمكن تحديد سنة معينة لظهور النهضة، وإنما التركيز يكون بإبراز التيارات الحضارية الجديدة التي شهدتها أوروبا مع مطلع القرن الحادي عشر؛ ثقافيا وسياسيا واقتصاديا ودينيا، والتي تبلورت حتى غدت في شكل نهضة شاملة في القرن الثاني عشر، وعلى هذا الأساس منحوا تعريفا للنهضة يتناسب مع هذا التوجه بقولهم: "إنها تلك التغيرات الحضارية والتطورات الفكرية التي عرفتها أوروبا أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثالث عشر الميلاديين" (ش.الجمل، 2000، ص 6).

تجدر الإشارة إلى أن النهضة في أوربا ارتبطت أساسا بإحياء العلوم الإنسانية القديمة المتعلقة بحياة الإنسان في المجالات الأدبية والفنية وحتى العلمية اقتداء بعلماء اليونان والرومان (L.Angelucci, 2011, p. 18). ولكن هذا لا يعني أن دراسة التراث القديم لم تكن موجودة خلال العصور الوسطى، بلى وإنما وجدت بطريقة طغت فيها رغبة الكتلة المسيطرة آنذاك_ رجال الدين_ فأخضعت هذه الدراسات لأهوائهم وأهملت في كثير من الأحيان لتعارضها مع توجهاتهم ومصالحهم (ع.نوار، 1999، ص 7).

كانت نظرة مفكري عصر النهضة إلى هذه العلوم مختلفة تماما حيث أولوها اهتماما كبيرا، فأقبلوا بشغف على دراسة كل ما حصلوا عليه من الكتب الإغريقية والرومانية في مختلف الميادين العلمية والأدبية وحتى الآثار المعمارية (ن.حاطوم، 1968، ص 75) ، وكان هدفهم من ذلك بعث روح الثقافة الرومانية والإغريقية في أعمالهم الفنية، الأدبية والفلسفية، غير مكترثين بتعاليم رجال الدين ولا تقاليد الكنيسة، كما أضافوا على هذا الموروث أو ما يعرف بالتراث الكلاسيكي لمستهم المعبرة عن أحاسيسهم وشخصياتهم ما جعل لهذه الحركة طابع خاص مميز بها عرفت بالحركة الإنسانية التي أنتجت مع مرور الوقت حضارة منقطعة النظير (E.Gebhart, 1879, p. 277).

لقد رفض هؤلاء العلماء عددا كبيرا من أفكار العصور الوسطى، فقد كان جوهر حياة الإنسان في تلك الفترة قائم أساسا على الصلاة والتفكير في الخلاص، وأن المجتمع عموما مملوء بالمغريات الشريرة والمعاصي، وعكس ذلك ركز الإنسانيون على واجبات الإنسان نحو نفسه ومجتمعه، ودافعوا عن المجتمع وبينوا أن دوره في الحقيقة هو جعل الناس متحضرين أكثر من جعلهم أشرار (س.أشرف، 2009، ص 13).

ساهمت حركة إحياء العلوم القديمة التي كانت مهملة طيلة العصور الوسطى المظلمة الكارهة للفلسفة والثقافة؛ في محاربة الإنسانيين للجهل المسيحي المقدس، فقد ضاقوا ذرعا برجال الدين ومواعظهم و أفكارهم التقليدية المكررة منذ مئات السنين، حيث فرضت اليقينيات القطعية والتعاليم اللاهوتية عن طريق القوة والإكراه، واقتصر التعليم على تلقين الآداب وعلوم اللاهوت فقط فاهتموا بالدين و شرح الإنجيل والتعليق عليه، وهيمنت العلوم الإلهية على العلوم الإنسانية

فهي أشرف وأرقى منها وكان كلام رجال الدين معصوما يطاع ولا يناقش أبدا (L.Angelucci, 2011, p. 21).

من وسط هذا الجو المشحون المقيد انطلق إنسانيو عصر النهضة نحو الماضي اليوناني والروماني البعيد بحثا عن حرية العلم والمعتقد (E.Gebhart, 1879, p. 288) دون تبني نزعات مضادة للتدين حيث عرف معظمهم بالإيمان ولكنهم في نفس الوقت رفضوا أن تكون الكنيسة بتعاليمها محور حياتهم وهذا ما تجلى في أعمالهم النهضوية.

3.عوامل ظهور النهضة في أوروبا:

وكما أشرنا إليه سابقا فقد تميزت دراسة التراث القديم و العمل على إحيائه بحماس كبير لدى رواد الحركة الإنسانية الذين رأوا في الفترة الماضية سيطرة الجمود الفكري فكان لابد من إخراج الإنسان من هذا الوضع، وبعث دوره الحضاري في إطار ما عرف بالنهضة la Renaissance. هذه الأخيرة التي ساهم في ظهورها جملة من العوامل نذكر أهمها :

1.3 العلاقات الثقافية بين مراكز الحضارة الإسلامية والغرب الأوروبي: شكل سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية أواخر القرن الخامس ميلادي نقطة تحول في تاريخ أوروبا وبداية مرحلة جديدة عرفت بالعصور الوسطى التي ساد فيها ركود علمي شديد حتى اصطلح على تسميتها بالعصور المظلمة.

في هذا الوقت كان العالم الإسلامي يعيش أوج مجده الحضاري، وقد انتقل إشعاع الحضارة الإسلامية إلى أوروبا عبر عدة نوافذ أهمها:

أ. صقلية: حيث حكمها المسلمون لمدة تزيد عن القرنين ونصف، ونقلوا إليها الكثير من الإنجازات الحضارية والفكرية التي أصبحت منارة للعلم في أوروبا فقصدها طلاب العلم من كل مكان (ع.نوار، 1999، ص 7)، وما زادها أهمية هو موقعها الجغرافي الذي يتوسط العالمين الإسلامي والأوروبي فجعلها رافدا حضاريا بامتياز.

ب. الأندلس: عمل المسلمون طوال المدة التي أمضوها في الأندلس على تطوير أساليب الإدارة، الزراعة، الصناعة ومختلف الحرف فقصدهم الإسبان والمسيحيون من كامل أرجاء أوروبا قصد الإفادة من خبرتهم (إ.عبيد، 2006، ص 5)، ومن جهة أخرى عكف المسلمون في الأندلس على ترجمة المخطوطات الإغريقية التي وقعت بين أيديهم إضافة إلى ازدهار دراسة الفلسفة، الطب، الرياضيات وبحور الشعر والأدب المختلفة، وكانت مدينة طليطلة تحديدا أول وأعظم مراكز نقل الثقافة الإسلامية إلى الأوروبيين في الغرب (ش.الجمل، 2000، ص 8).

ج. الشرق الأدنى: حيث كان للحروب الصليبية دورا هاما الاحتكاك والتبادل الحضاري بين العالمين الإسلامي والمسيحي نقل على إثره الأوروبيون التجارب الإسلامية في جميع الميادين سواء ما تعلق بالإدارة ونظم الدواوين، أو الأنشطة الاقتصادية المختلفة، ومن جهة أخرى فإن النهضة الأوروبية ارتكزت أساسا على الرخاء المادي الذي وفرته الحروب الصليبية. وعليه كان الاحتكاك الحربي و الحضاري الأوروبي مع العالم الإسلامي من الأسباب المباشرة لقيام النهضة الأوروبية (إ.ياغي، 1993، ص 23).

2.3 هجرة العلماء الإغريق إلى إيطاليا: حيث عرفت إيطاليا موجة من هجرة العلماء إليها قادمين من القسطنطينية وازدادت هذه الظاهرة بعد فتحها على يد السلطان مُحَمَّد الفاتح 1453م، وقد ساهم في ذلك في ازدهار الحركة الإنسانية وانتشارها ، ومن الخطأ الاعتقاد أن سقوط القسطنطينية هو سبب وتاريخ بداية هذه الهجرة و الدليل على ذلك مثلا أننا نجد العالم مانويل كريزولوراس الذي قدم العديد من المحاضرات باليونانية في مدينة فلورنسا خلال الفترة الممتدة من 1397-1400م، ومنها توجه إلى البندقية ثم ميلانو. ويضاف إليه أعمال بيساسيون الذي نجح في جمع حوالي 600 مخطوط يوناني كلفته أموال طائلة قدمها لمكتبة البندقية الشهيرة (س.أشرف، 2009، ص 42) (Howarth, 1993, p. 49).

3.3 اختراع الطباعة: يعتبر هذا الاختراع أهم عوامل انتشار أعمال الإنسانيين ورواج أفكارهم بين الناس، فهي بحق أهم اختراعات عصر النهضة، حيث صارت طباعة الكتب أسهل وأسرع من ذي قبل، فأصبحت الكتب بذلك أكثر انتشارا وتداولا بين الناس وبأسعار أقل. وأخذت المطابع

تنتشر في أنحاء أوروبا المختلفة؛ ألمانيا ، فرنسا، إيطاليا وغيرها ومن أمثلة ذلك مطبعة ألدوس مانوسيوس في البندقية والذي يعد أشهر القائمين على الطباعة في إيطاليا حيث تخصص في طباعة المخطوطات والكتب اليونانية القديمة، وما يميز مطبوعاته هو الوضوح والجودة العالية في الإخراج مما جعل الإقبال عليها عظيما (ز.عصمت، 1986، ص 77).

4. إيطاليا مهد النهضة الأوروبية:

كانت شبه الجزيرة الإيطالية مركز للإشعاع الفكري والفني الذي شهده عصر النهضة ومنها انتقلت إلى باقي أرجاء أوروبا، ويرجع السبب في هذا السبق الإيطالي إلى عدة عوامل أهمها:

1.4. الرخاء الاقتصادي: تميزت المدن الإيطالية كفلورنسا، جنوه، البندقية عموما برخاء اقتصادي كبير ويرجع ذلك إلى احتكارها التجارة الشرقية، حيث نقل تجار هذه المدن السلع الشرقية من موانئ مصر والشام إلى إيطاليا ومنها توزع إلى باقي الأسواق الأوروبية، وقد ساهم هذا الرخاء في تحسن الأوضاع المعيشية في هذه المدن واستقرارها سياسيا الأمر الذي أفسح المجال أمام حكامها للاهتمام بالعلوم والفنون المختلفة ورعاية بذورها التي بدأت تنمو تزامنا مع ظهور الحركة الإنسانية (I.Hutchinson, 1996, p. 416) .

2.4. ماضي الإيطاليين وتاريخهم الحضاري: كانت الأراضي الإيطالية حافلة بقدر كبير من بقايا وآثار الحضارة الرومانية من مباني، مخطوطات، نقوش وتماثيل رغم ما لحقها من دمار جراء غزوات القبائل الجرمانية. وقد حمل الإيطاليون على عاتقهم مسؤولية الحفاظ على هذا التراث والعمل على إحياءه وبعثه من جديد على اعتبار أنهم أحفاد الرومان وورثتهم الشرعيون، فراحوا يجمعون المخطوطات وعملوا على محاكاة العمران ومختلف أساليب النحت والتصوير فأبدعوا بذلك نمطا جديدا عرف بفن عصر النهضة (ع.رمضان، 1997، ص 64).

3.4. السلام يعم الأراضي الإيطالية: بفضل الاستقرار السياسي الذي شهدته معظم المدن الإيطالية وتوفر الأمن فيها؛ ساد الجو الملائم والضروري للنمو والازدهار على جميع المستويات بما في ذلك التطور العلمي والفني (إ.ياغي، 1993، ص 38).

4.4. قيام حكومات قوية في المدن الإيطالية: عرفت شبه الجزيرة الإيطالية نظاما سياسيا مختلفا عن غيرها من البلدان الأوروبية، حيث كانت تنقسم إلى مدن منفصلة لكل منها حكومة مستقلة، تنافست فيما بينها اقتصاديا، سياسيا وخاصة فكريا، وراحت حكوماتها المختلفة تدعم الآداب والفنون وتركت في هذا المجال بصمتها التي خلدها التاريخ، وكان أهمها على الإطلاق أسرة مدتشي في فلورنسا فعلى الرغم من إتباعها نمط استبداديا في الحكم أطلق عليه حكم الطغاة إلا أن أمراءها تميزوا بتشجيعهم الكبير للفنانين والأدباء، وكانت قصورهم قبلة للمبدعين في جميع المجالات نظرا لما لقوه لديهم من ترحيب و رعاية فغدت فلورنسا بذلك مركزا للنهضة الإيطالية (م.المقرحي، 1996، ص 31).

5.4. تأسيس المكتبات: تزامنا مع ظهور الحركة الإنسانية تزايد الاهتمام بالعلوم القديمة اللاتينية والإغريقية، فراحت المدن الإيطالية تتنافس على إنشاء المكتبات وملئها بأثمن الكتب والمخطوطات والمجلدات القديمة ما أدى إلى انتشار المكتبات عبر كامل الأراضي الإيطالية (ع.رمضان، 1997، ص 23).

6.4. ظهور المجمعات العلمية: أو الأكاديميات التي كان لها دور كبير في نشر الدراسات الكلاسيكية الإغريقية واللاتينية، وقد احتوت على أنواع مختلفة من الدراسات مثل: الفلسفة الإغريقية، الرسم والموسيقى. وكما هو الحال بالنسبة للمكتبات فقد اشتد التنافس بين الأسر الحاكمة عبر مختلف المدن الإيطالية في إنشاء هذه المجمعات ودعوة كبار الأساتذة لإلقاء المحاضرات فيها، وقد تفوقت فلورنسا على سائر المدن الإيطالية في هذا المجال بفضل جهود حكامها من أسرة آل مدتشي (ع.البشناوي، 1982، ص 23).

7.4. إيطاليا مقر الزعامة الدينية في أوروبا: فقدت روما مركزها السياسي باعتبارها عاصمة للإمبراطورية الرومانية الغربية بعد سقوطها على يد الجرمانيين سنة 476م، ولكنها عوضت خسارتها هذه بأن أصبحت مقرا للبابوية وقبلة للعالم المسيحي الغربي، والقوة الوحيدة القائمة التي التف حولها المسيحيون في الغرب طيلة العصور الوسطى. وهكذا شكلت الزعامة الدينية للبابا

عاملا مهما أكسب الإيطاليين شعورا بالسيطرة الدينية على بقية الشعوب الأوروبية (إ.ياغي، 1993، ص 38).

مارس الباباوات كغيرهم من الحكام السلطة السياسية، وعاشوا في البلاطات والقصور بكل ما تحمله من مظاهر الفجور، فامتزجت تعاليمهم ووعظهم الديني بانغماسهم في حياة البذخ والملذات، ولكن على الرغم من ذلك فإنهم أنفقوا جزءا من الأموال المتدفقة على الكنيسة للنهوض بالعلم وتشجيع الأدب والحث على الإنتاج الفني، ومن أمثلة ذلك تشييد البابا نيقولا الخامس لمكتبة الفاتيكان وتزويدها بالكتب النادرة، كما استعمل نفوذه في البحث والتنقيب عن المخطوطات فجمع أطلال المكتبات البيزنطية ومخطوطات العالم القديم المهجورة، يضاف إليه ما قام به البابا ليو العاشر الذي كان يميل إلى تعظيم الفنون فقام بتزيين قصر الفاتيكان وبناء كنيسة القديس بطرس هذين المعلمين اللذين أبدع فيهما رجال الفن من نحاتين ومصورين (م.المقرحي، 1996، ص 32).

8.4. طبيعة الشعب الإيطالي: اشتهر الشعب الإيطالي بحبه للفنون بمختلف أشكالها، فشغفوا بالموسيقى، الرقص، الأغاني التصوير، النحت، العمارة والشعر وما إلى ذلك من أشكال الآداب والفنون، أما الحياة العسكرية وجبهات القتال فقد ابتعد عنها الإيطاليون وأوكلوا مهتها للمرتزقة. وقد تقدمت الآداب والفنون بخطى واسعة في فلورنسا على وجه الخصوص في عهد الأمير لورنز دي مدتشي العظيم (ع.البشناوي، 1982، ص 25).

اجتمع هذا الميل للفنون لدى الإيطاليين عامة والفلورنسيين على وجه الخصوص في ظل رعاية حكامهم من آل مدتشي، ودعمته العوامل سابقة الذكر وفي مقدمتها الرخاء الاقتصادي لتفجر طاقات عقلية وفنية بلغت فلورنسا بفضلها مستوى رفيع لم تبلغه غيرها من المدن الأوروبية.

5. مدينة فلورنسا:

هي مهد الحركة الإنسانية والنهضة الأوروبية والعاصمة الثقافية لإيطاليا. كيف تبوأت هذه المكانة ياترى؟

1.5 الموقع الجغرافي لمدينة فلورنسا:

تقع فلورنسا، العاصمة الحالية لإقليم فلورنسا والعاصمة القديمة لإقليم ثوسكانيا، شمال غرب إيطاليا وجنوبي ميلانو وجنوا، على بعد 232 كلم شمال روما، على سفح جبال الإبنيين حيث يبدأ مجرى نهر الأرنو الذي يتسع نحو الغرب ليصبح سهلا خصبا يمتد إلى بحر التيراني، كما يزيدها – نهر الأرنو– الرتابة والاتساع (خريطة رقم 1).

تبلغ مساحتها نحو 100 كلم^2، تتوسط أراضي زراعية غنية محاطة من ثلاث جهات بتلال طينية: كاريدجي Careggi شمالا، وفييزولي Fiesole من الشمال الشرقي، وسيتنيانو Settignano شرقا، أرشيتري Arcetri، بودجيو امبيريالي Poggio Imperiale و بيلوز غواردو Bellos Guardo جنوبا(Y.RENOUARD, 2006, pp. 45-46)

تتوسط مدينة فلورنسا شبه الجزيرة الإيطالية، بين مفترق الطرق التجارية البرية التي أقامها الرومان قديما لربط مختلف الأقطار والمدن بالعاصمة روما، ومن أشهر هذه الطرق الطريق الممتد من الساحل الإيطالي جنوبا إلى وسط وغرب أوروبا شمالا، عبر ممرات جبال الألب و يمر هذا الطريق عبر فلورنسا، لذلك كانت مقصد للتجار منذ القدم (م.فؤاد، 1987، ص 2717).

وقد حافظ هذا الطريق على نشاطه وأهميته كشريان للتجارة بين سكان مدن جنوب أوروبا و غربها، بحيث ظل أهالي منطقة ثوسكانا ولمبارديا يستعملونه لنقل السلع الشرقية و خاصة البخور والتوابل التي كثر عليها الطلب بين رجال الكنيسة المسيحية وأمراء الغرب الأوروبي، مما يدل على ذلك وجود وثائق تاريخية تشير إلى أن تجارا من هذه المنطقة كانوا يأتون إلى أسواق سان دينييس Saint Denis، ارتبطت شهرتهم بالسلع الشرقية التي كانوا يتاجرون فيها. ولا شك أن هؤلاء التجار الفلورنسيين يرجع لهم الفضل الكبير في الوساطة بين أقطار غرب أوروبا وجنوبها في فترة كانت فيها أوروبا تعيش في عزلة تامة عن العالم الخارجي (I.Hutchinson, 1996, p. 416).

2.5 تأسيس المدينة:

يرجع تاريخ مدينة فلورنسا إلى الأثرسكين وهو العصر السابق للعصر الروماني القديم، حيث هاجرت قبائل الأثروسك من آسيا إلى إيطاليا حوالي عام 200 ق م (F.Perennes, 1877, p. 15) وأسست ما يعرف اليوم بفلورنسا، ولكن الحرب الأهلية الرومانية دمرتها، حيث تعرضت للتخريب من قبل سيلا Sylla حوالي 82 ق م، وفي عام 59 ق م أنشأ فيها الحاكم الروماني يوليوس قيصر مستعمرة للمحاربين على ضفاف نهر الأرنو، أطلق عليها اسم فلورنتينا الذي أصبح فيما بعد فلورنسا(J.Dubreton, 1958, pp. 11-12) .

ومنذ القرن الثالث ميلادي وحتى الوقت الحالي صارت فلورنسا مركزا إداريا ودينيا مهما، حيث كانت مقرا للأسقفية، ما جعلها محط لأطماع الكثير من الأعداء، ولهذا تعرضت للاحتلال المتعاقب من قبل القوطيين، ثم البيزنطيين حوالي 539 م ثم اللومبارديين حوالي (570 – 580م)، وضلت تحت حكمهم إلى غاية وفاة الكونتيسثة ماتيلدا سنة 1115م، فقرر أهلها أن يتولوا حكم أنفسهم بأنفسهم فجعلوا من فلورنسا بلدية ذاتية الحكم، وأسسوا فيها الجمعية الفلورنسية العامة، إضافة إلى العديد من المؤسسات ومنشآت المدينة المعاصرة مثل: كونسولا Consuls، والبوديستا Podesta (M.Mourre, 1998, p. 1832).

6. أسرة آل مدتشي: قيل عنهم أنهم عاشوا في الظل ولكن مجدهم بلغ عنان السماء؟ من هم ياترى وكيف حققوا هذا المجد؟

1.6 أصل عائلة مدتشي:

آل مدتشي Medici إحدى أشهر عائلات فلورنسا، والتي لعبت الدور الأهم في تاريخها اقتصاديا وسياسيا وثقافيا بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر، مؤسسها جوفاني دي بيتشي دي مدتشي .تاجر أفرادها أصلا بالصوف، ثم عملوا في القطاع المصرفي في فلورنسا (C.Hibbert, 1974, p. 17) ، فاكتسبوا ثروة طائلة وسلطة واسعة ، حيث كان مصرف مدتشي أحد أكثر المصارف ازدهارا واحتراما في أوروبا. وهنالك بعض التقديرات تشير إلى أن آل

مدتشي كانوا لفترة من الزمن أغنى أسر أوروبا (Ch.Yriarte, 1897, p. 26). وعلى هذا الأساس اكتسبت العائلة السلطة السياسية في فلورنسا بادئ الأمر، ثم على نطاق أوسع في إيطاليا وأوروبا. باستثناء فترات قصيرة حكم آل مدتشي فلورنسا من عام 1434 إلى عام 1737 وقد عرفت هذه الأسرة برعايتها للفن والفنانين.

بفضل تفوقهم المالي والسياسي استطاع آل مدتشي إبقاء فلورنسا تحت سيطرتهم مهيئين بيئة أمكن فيها ازدهار الفن والإنسانية وقادوا بذلك ولادة النهضة الإيطالية جنبا إلى جنب مع غيرها من الأسر الكبرى في إيطاليا مثل آل ڤسكونتي Les Viscontis، آل سافورزا Les Savorsa من ميلانو، آل استني Les Istinis من فيرارا، آل غونزاڤا Les Gonsaga من مانتوفا وغيرهم (هـ.فيشر، 1966، ص 438).

2.6 وصول آل مدتشي إلى الحكم :

إذا نظرنا إلى تاريخ فلورنسا السياسي فإننا نجده لا يختلف عن تاريخ الدول الحديثة، وذلك بانتصار طبقة رجال الأعمال على طبقة الأشراف القدماء في أواخر القرن الثالث عشر، الذي يليه كفاح طبقة العمال للفوز بالسلطة السياسية (T.Parks, 2006, p. 57).

لقد عاشت مدينة فلورنسا فترة طويلة من التقلبات والصراعات السياسية بين أطراف القوى الحاكمة في المدينة وعلى رأسها عائلتي مدتشي وألبيزي المدعومين من حزبي جلف وجبلين المتصارعين منذ القدم فكان ميزان القوى يتأرجح لصالح المدتشيين تارة، ولصالح منافسيهم تارة أخرى وعلى أساس هذا التناوب تغير نظام الحكم المدينة في كل مرة من الجمهوري إلى الأوليغارشي المستبد(C.Mee, 2018, p. 11) ، كانت الغلبة في بادئ الأمر لصالح الألبيزيين، ولكن على الرغم من الانتصارات السياسية التي حققوها على الصعيدين الداخلي والخارجي، إلا أنهم واجهوا صعوبات كبيرة في الحفاظ على سيطرتهم على فلورنسا انتهت بتنحيتهم عن الحكم (هـ.فيشر، 1966، الصفحات 437-438) .

ومن أمثلة محطات الصراع بين العائلتين ذلك الذي كان سنة 1378م؛ حيث ظهرت مجاعات وأزمات سياسية وأخرى اقتصادية بسبب الركود الاقتصادي، والعبء الضرائبي الشديد الوطأة على

الناس، الناجم عن الحروب ضد البابوية، إضافة إلى السياسات التعسفية التي انتهجتها آل ألبيزي في حق الشعب مثل : منع زيادة الأجور، وفساد شروط العمل إضافة إلى الأجور الزهيدة مقابل ساعات طويلة من العمل ما بين 6 – 18 ساعة يوميا، فضلا عن استغلال العمال وجعلهم عرضة لاستخدام محدود أو ضحايا 122 يوم بطالة سنويا دون أجر (T.Parks, 2006, pp. 57-58)، فكانت جملة هذه العوامل سببا في حقد واشتعال غيظ عمال النسيج المحرومين والطبقة الشعبية الفقيرة التي كانت تطمح للتخلص من هذا الظلم والتعدي على حقوقها ونتج عنه قيام ثورة عارمة شملت أرجاء المدينة عرفت بثورة كيومبي (P.Boglioni, R.Delort, & C.Gauvard, 2002, p. 145).

لقد أحسنت الجهات المعارضة للأوليغارشية في فلورنسا استغلال هذه الظروف وعملت على استغلالها لصالحها، من خلال تأليب الرأي العام ضد الأسرة الحاكمة ونظام الحكم ككل، وكان في مقدمة هؤلاء المعارضين أسرة مدتشي التي عادت إلى الظهور على ساحة الأحداث، ولكن هذه المرة بشكل جديد، حيث عملت على حماية الشعب من تعسف النبلاء والأشراف، وأصبحت بفضل ثروتها صاحبة القرار في الشؤون السياسية دون أن يكون لها أي صفة قانونية؛ لقد كانت ثروتها أداتها لتحقيق أهدافها ، ولكن قوتها الحقيقية كانت تكمن في قدرتها على كسب ثقة الشعب (C.Hibbert, 1974, pp. 18-19) ، وقد عبر هورمن غرين عن ذلك بقوله: "... صحيح أن نجاحاتهم تجابه السماء، ولكن وسائل تحقيقها تبقى في الظلام..." ؛ حيث استغل سلفسترو دي مدتشي كبير العائلة ثروته وثقة الشعب به، وعمل في الخفاء على تحريض تلك الجماعات الغاضبة من العمال على الثورة ضد آل ألبيزي، وبالفعل فقد نجح في ذلك.

على الرغم من تمكنهم من إخماد ثورة العمال الغاضبين، إلا أن الألبيزيين فشلوا في إعادة الاستقرار إلى أركان حكومتهم، التي ضلت تعاني من الاضطرابات الداخلية المستمرة إلى غاية 1434م تاريخ الانسحاب النهائي لآل ألبيزي من حكم فلورنسا (J.Dubreton, 1958, pp. 53-54). وهكذا لم يبق أمام المدتشيين سوى قطف ثمرة جهودهم التي كلفتهم سنوات طويلة من العمل

في الخفاء، واعتلوا بعد قضائهم على جميع منافسيهم عرش فلورنسا التي عرفت زمن حكمهم منذ 1434م وإلى غاية 1737م نوعا من الأمن والاستقرار، مما هيأ بيئة أمكن فيها ازدهار الفن والآداب الإنسانية.

7. أمراء آل مدتشي في فلورنسا رعاة النهضة الإيطالية:

اتخذت النهضة موطنها الأول في فلورنسا لنفس الأسباب التي جعلت مولدها في شمال إيطاليا. ذلك أن فلورنسا–أي مدينة الأزهار– كانت في القرن الرابع عشر أغنى مدائن شبه الجزيرة الإيطالية ما عدا البندقية، وذلك بفضل تنظيم صناعتها، واتساع نطاق تجارتها، وأعمال رجال المال فيها. غير أنه بينما كان البنادقة في ذلك الوقت يبددون جهودهم في كسب الثروة، كان الفلورنسيون يزدادون حدة في العقل، وقوة في الذكاء، وتذوقا لكل فن تحت رعاية حكامها من أمراء آل مدتشي(F.kent, 2004, p. 2) فجعلوا بذلك مدينتهم باعتراف الجميع عاصمة إيطاليا الثقافية.

1.7 كوزمو دي مدتشي Cosme de Medicis (1443 – 1449) م:

هو الإبن الأكبر لجيوفاني دي مدتشي، ولد في 27 سبتمبر 1398، تلقى تعليمه الأول في مدرسة دير سانتا ماريا ديجلي أنجيلي أين تعلم الألمانية، الفرنسية، اللاتينية، العبرية، اليونانية والعربية. عرف عنه اهتمامه بالعلوم الكلاسيكية حيث أقبل على دراستها وتطويرها حتى وصف بأنه أصبح إنسانيا (C.Hibbert, 1974, p. 23).

تميز كوزمو بنباهة وحنكة سياسية عالية منذ حياة والده، فقد شارك في الشؤون العامة للمدينة وأشرف في نفس الوقت على إدارة أعمال عالته التجارية والمصرفية، وقد تم اختياره في عدة مناسبات لتمثيل فلورنسا في الخارج مثلما حصل في مجمع كونسثانس (Ch.Yriarte, 1897, p. 29).

تولى إدارة شؤون العائلة، إلا أنه تعرض للاضطهاد والنفي من قبل عائلة ألبيزي الحاكمة، وفي عام 1443م عاد من منفاه الذي دام اثنتي عش شهرا، وسيطر على الحكم في فلورنسا بفضل دعم الأهالي له على حساب آل ألبيزي، ونظرا لسخائه وكرمه الذي فاق به كل معاصريه لقب بأب

الوطن (P.Larivaille, 1975, p. 23) .وقد عرفت فلورنسا زمن حكمه حالة من الاستقرار السياسي والهدوء الداخلي لم تعهده البلاد من قبل، حيث استند في حكمه ودعم سلطته على تأييد الطبقة العامة التي منحها جزءا من الحكم الديمقراطي (R.Davis & B.Lindsmith, 2011, p. 38).

كما استفاد من أخطاء الماضي، ولذا عمل على امتصاص غضب طبقة العمال المحرومة وكسب دعمها بفرض ضرائب على الدخل والمردود، وبذلك أنقص من الثقل المفروض على الطبقات الفقيرة في المدينة، بينما أثقل كاهل العائلة الثرية المعادية لآل مدتشي في فلورنسا، وهكذا استطاع تحقيق توازن بين مختلف الطبقات الاجتماعية في المدينة (F.Nathan, 1982, p. 217).

1.1.7 من المنفى كوزمو دي مدتشي بين جمع المخطوطات وتشييد المكتبات:

رغم وجوده في المنفى إلا أنه ظل مهتما بالعلوم الفنون والآداب حيث التقى بالعديد من الفنانين وطلب منهم وضع تصميمات للمباني التي يفكر في إقامتها في فلورنسا بعد عودته إليها، وعليه يمكن القول بأنه مهد لنهضة فلورنسا من منفاه، حيث تجمع حوله أعظم الفلاسفة والمفكرين والشعراء في عصره، وقد كان اهتمامه بالعمارة كبيرا ومن أشهر المباني التي شيدت في عهده كنيسة سان لورنزو، دير سان فيرديانا، دير سان جيرولامو على مرتفعات فيزولي، دير سان بارثولوميو، سان رومولو (Ch.Yriarte, 1897, p. 35) ، جهز كل من هذه المنشآت بمكتبة وأشرف على إثرائها بالكتب المختلفة، كما أمر ببناء عدد لا يحصى من المصليات على نفقته الخاصة وجهزها بكل ما يلزم من أثاث وأدوات لازمة لأداء الطقوس والإحتفالات الدينية المختلفة، وأشرف شخصيا على تزيينها بأعمال الفنان فرا أنجيليكو ذات الطابع الديني (C.Mee, 2018, p. 13).

كان شغف كوزمو بالتراث الكلاسيكي كبيرا جعله يعنى بالكتب بقدر ما عني بالثروة والسلطان، كما عرف عنه حبه للتنقيب عن الوثائق القديمة وامتلاكها، وقد مكنه ثراؤه الناتج عن نشاطه التجاري الواسع النطاق من تحقيق ذلك (ز.عصمت، 1986، ص 72)، حيث استطاع أن يجمع عددا هائلا من المؤلفات القيمة المكتوبة باللغات المختلفة من يونانية، عبرية، عربية وهندية،

كما شجع على اقتناء المخطوطات القديمة اللاتينية واليونانية (T.Parks, 2006, p. 56)، وقدم الدعم لأولئك الذين يقومون بجمعها و نسخها فكانت جهوده حافزا على تكوين المكتبات، فشيد مكتبة في مدينة البندقية أثناء فترة نفيه بها سنة 1433 أطلق عليها اسم مكتبة سان جورجو مادجوري، كما أصلح مكتبة سان ماركو في فلورنسا وقد كلفته 15ألف فلورن، وزود مكتبتها بما يزيد عن ثمانمائة من المخطوطات القديمة التي اشتراها بماله الخاص (R.Davis & B.Lindsmith, 2011, p. 35)، (ب.ستراييرن، 2015، ص 94) وتعد هذه المكتبة الأولى من نوعها في أوروبا حيث كانت السباقة إلى عرض خدمة إعارة الكتب، كما أنشأ مكتبة عظيمة في الفاتيكان وكان لهذه المكتبات أثر كبير في تطور حركة النهضة الإيطالية (ع.البشناوي، 1982، ص 26). (C.Mee, 2018).

2.1.7 كوزمو دي مدتشي والأكاديمية الأفلاطونية:

عرف عن كوزمو حبه للآداب والفلسفة حيث ظل اثنتي عشر سنة يدرس مع صديقه مارسيلو فيتشينو الآداب الكلاسيكية، حتى أنه قد استدعى مانويل كلايسولوراس إلى فلورنسا ليعلم شبابها لغتي اليونان والرومان وآدابهما، واجتهد في تشجيع طلاب العلم على دراستها بتقديم التحفيزات المالية على كل انجاز حققوه (Howarth, 1993, p. 53)، كما كان معجبا بأفلاطون فأمضى ساعات طويلة في مناقشة أعماله مع صديقه مارسيلو فيشينو وأمره بترجمتها إلى الإيطالية حتى يسهل تداولها بين الناس، ومن جهة أخرى كلفه بالتركيز على دراسة اللغة الإغريقية حتى يستطيع القيام بالمهمة التي أوكله بها وهي التوفيق بين الفلسفة الإغريقية ذات الطابع الوثني مع تعاليم المسيحية (ع.رمضان، 1997، ص 23).

وأثناء قيامه بزيارة لفلورنسا سنة 1438 تمكن الإنساني جمستون بليتون في من إقناع حاكمها كوزيمو بإنشاء أكاديمية للدراسات الأفلاطونية أطلق عليها اسم الأكاديمية الأفلاطونية (M.Mourre, 1998, p. 3017) ، كان اهتمامها موجها إلى الدراسات الفلسفية الإغريقية وخاصة الفلسفة الأفلاطونية وقد تولى أمرها بطبيعة الحال مارسيلو فيتشينو. كانت من أشهر الأكاديميات في إيطاليا وازداد مجدها خاصة بعد تولي لوزنزو دي مدتشي الحكم حيث وصلت هذه الأكاديمية عهدها الذهبي في زمنه (إ.ياغي، 1993، ص 41).

2.7 لورينزو دي بييرو دي ميديتشي: الملقب (الرائع والعظيم)

هو أحد أفراد أسرة آل مدتشي التجارية القوية النفوذ الغنية التي سيطرت على فلورنسا طوال قرن ونصف (حوالي 1390 م – 1540 م)، ولعله كان أبرز أعضاء هذه الأسرة. حكم فلورنسا من عام 1478 إلى 1492 م. وصفت فترة حكمه بالدكتاتورية ولكنها كانت في نفس الوقت عصراً ذهبياً من حيث رعاية الفنون والبناء بتشجيع من لورينزو نفسه، وفي أغلب الأحيان بتمويله الخاص، وكان عصره عصر ازدهار بالنسبة إلى التجارة، والأعمال المصرفية التي جعلت فلورنسا مركزا للنهضة الاقتصادية والفنية في إيطاليا(F.kent, 2004, p. 3).

لورينزو هو حفيد كوزيمو دي ميديشي الملقب بالعجوز مؤسس السلطان الميديشي وابن بييرو دي كوزيمو دي ميديشي ولوكريسيا تورنابووني، تلقى تربية إنسانية عميقة فكان تعليمه الأول رفقة أخيه جوليانو على يد أعضاء بارزين من جماعة المفكرين الإنسانيين في فلورنسا وكانت بداية تعليمه على يد العالم جنتيل بيكي الذي لقنه أصول اللغة اللاتينية، إضافة إلى اليونانية والفلسفة الأرسطية على يد العالم البيزنطي جوانس أرجيروبولس، كما كلف مارسيلو فيتشينو لاحقا بتعليم الأخوين مبادئ الفلسفة الأفلاطونية (C.Mee, 2018, p. 28)، (ب.ستراثيرن، 2015، ص 37).

لقد حرص والده بيير ودي مدتشي على تلقينه فنون السياسة وخبراتها منذ سن مبكرة جدا الأمر الذي سمح له بدخول الباليا ومجلس مئة ، ليستعد لخلافة والده الذي كان في حالة صحية سيئة. وكانت توليته بمهام في نابولي وروما والبندقية بعمر السادسة عشر طريقة لإظهار مقدرته السياسية قبل استلامه سيادة فلورنسا (P.Larivaille, 1975, p. 26) .

تولى السلطة في الفترة من عام 1469 حتى 1472 أعاد تشكيل مؤسسات الدولة بالكامل، أخمد كل العداوات بين العائلات وحل جميع المشاكل العائلية بطريقة تجعله الحاكم الأعلى في جميع الأمور؛ ومن جهة أخرى أدخل تعديلات طفيفة على الدستور حيث أبقى على الإدارات البلدية القديمة ليضمن استمرار التأييد الشعبي له، غير أنه جردها من سلطة اتخاذ القرارات، فكانت مجرد أدوات بيديه تحت مراقبة أتباعه المخلصين (P.Larivaille, 1975, pp. 26-27) .

جمع لورينزو بين ممارسة السلطة السياسية وشؤون الاقتصاد وحب الفن والثقافة، فمثل بذلك التجسيد الأمثل للأمير النهضوي، وعلاوة عليه فقد أمن فترة من التوازن ومصدراً للسلام بين مختلف القوى الإيطالية استمر حتى وفاته في 9 أبريل 1492 . وقد علقت كاتيرينا سفورزا حاكمة إيمولا وفورلي حين علمت بموته: 'إن الطبيعة لن تنتج أبداً رجلاً مثله"

1.2.7 جهود لورنزو في تطوير اللغة الإيطالية:

تميز لورينزو بحس مرهف ذواق للآداب والجمال الفني، وكان الشعر من أكثر ما أحب من ألوان الأدب فأمضى في قراءته ونظمه ساعات فراغه، وكانت قصائده ترقى لمنافسة أحسن ما قيل من الشعر في أيامه، كان يميل إلى مقطوعات بترارك الغنائية على أشعار الحب التي جاءت في الآداب اللاتينية القديمة، وإن كان يسهل عليه أن يقرأ هذه الأشعار بلغتها الأصلية، وقد مزج في كتاباته بين موضوعات الحب والتغني بالجمال تارة والترانيم الدينية تارة أخرى .(C.Mee, 2018, p. 45) ، ومن أشهر أعماله التي كتبها ديوان أمبرا، وديوان غابات الحب ، ديوان أغاني الرعاة التي استوحاها من الأساطير اليونانية والرومانية القديمة كأشعار أوفيد وستاسيوس، وله أيضا ديوان المجادلات الذي يسمى أحيانا ديوان الملك الصالح، كذلك اكتشف سنة 1864 في أرشيف فلورسنا مخطوط لروايتين يعتقد أنهما تعودان للورنزو كتبهما حوالي 1470 تحت عنوان رواية يعقوب ورواية جينيرفا (ل.عوض، 1987، ص 65).

كان بوليتان منافس لورنزو الأول يؤلف باللغتين اللاتينية والإيطالية، أما أشعار لورينزو فقد كتبت باللغة الإيطالية القومية وأعادت إليها الأسبقية الأدبية التي جاء بها دانتي؛ وكان ذلك بإشارة من معلمه مارسيلو فتشينو الذي اقترح عليه كتابة أشعاره باللهجة التوسكانية الإيطالية لا اللاتينية القديمة، لأن هذه الأخيرة بدأت تسير نحو الزوال لقلة تداولها بين عوام الناس لصعوبة وتعقيد قواعدها اللغوية و أصبح استعمالها حكرا على رجال الدين والكنيسة فقط، فحلت محلها اللغة الإيطالية التي طغت على باقي اللهجات المحلية في كامل شبه الجزيرة الإيطالية (ب.ستراييرن، 2015، ص 37).

وفي هذا السياق نذكر أن أدباء فلورنسا استفادوا كثيرا من عون لورنزو فأخذوا يزيدون في كل يوم ما يكتبونه باللغة الإيطالية، وأخرجوا على مهل اللغة التسكانية الأدبية التي أضحت نموذجاً ومثلاً تحتذيه شبه الجزيرة كلها. ويصفها فاركي المتحمس لوطنيته: " بأنها ليست أحلى واغنى لغات إيطاليا وأكثرها ثقافة فحسب، بل إنها تفوق في هذا كله جميع اللغات المعروفة في هذه الأيام" (و.ديورانت، 1998، ص 64).

2.2.7 جمع الكتب والمخطوطات القديمة النادرة:

كان لورينزو إنسانيا بامتياز جعل من إحياء الأدب الإيطالي جانبا مهما في حياته، حيث عمل بجد وحماسة على مواصلة مشروع جده كوزمو دي مدتشي فجمع كل ما يستطيع من الكتب الأدبية اليونانية والرومانية القديمة ليسفيد منها العلماء في فلورنسا. من أمثلة ذلك أنه بعث بوليتيان وجون لاسكارس إلى كثير من المدن في إيطاليا وخارجها لشراء المخطوطات القديمة، وقد جاء لاسكارس من دير واحد عند جبل آثوس بمائتي مخطوط، منها عشرون لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت في أوربا الغربية (ل.عوض، 1987، ص 123).

ويصف بوليتيان شغف لورينزو لجمع المخطوطات والكتب القديمة بقوله إن لورينزو كان يود لو سمح له بأن ينفق كل ثروته، بل ويرهن أثاث بيته ليبتاع الكتب. وكان يستأجر النساخين من البندقية، نابولي، فيرارا وبادوا لينسخوا له ما لا يستطيع شراءه من المخطوطات، كما سمح لغيره من المولعين بجمع الكتب أمثال ماثياس كورفينوس ملك المجر و فدريكو دوق أربينو أن يرسلوا نساخين من عندهم ليعيدوا نسخ ما في مكتبة آل ميديتشي من مخطوطات (ل.عوض، 1987، ص 124) . وقد ضمت هذه المجموعة بعد موت لورينزو إلى المجموعة الأخرى التي وضعها كوزيمو من قبل في دير سان ماركو، وكانت المجموعتان تضمان في عام 1495م ما يزيد عن الألف مجلد منها أربعمائة وستون باللغة اليونانية (C.Mee, 2018, p. 45). وقد خطط ميكل أنجيلو بأمر من لورينزو فيما بعد داراً فخمة لهذه الكتب، وأطلق عليها لاحقا أسم لورينزو فسميت المكتبة اللورنتيانية .Bibliotheca Laurentiana (R.Davis & B.Lindsmith, 2011, pp. 111-112).

عرفت الحركة الإنسانية في فلورنسا نقلة عظيمة لما أنشأ برناردو تشينيني مطبعة في فلورنس (1471)، حيث استخدم لورينزو العلماء لمقابلة النصوص المختلفة حتى تطبع الكتب القديمة بأكبر قدر ممكن من الدقة و الوضوح. وشجع ذلك بارتولوميو دي لبري فطبع النسخة الأصلية من مؤلفات هومر (1488) برعاية العالم المدقق دمتريوس كلكنديلس ، وكذلك أصدر جون لاسكارس النسخة الأصلية من مؤلفات يوربديز (1494)، والمختارات الشعرية اليونانية، ومؤلفات لوتشيان، وطبع كرستوفورو لندينو أشعار هوراس (1482)، وفرجيل، وبلني الأكبر، ودانتي (و.ديورانت، 1998، ص 217).

وهرع العلماء إلى فلورنس بعد أن أغراهم بذلك اشتهار آل ميديتشي وغيرهم من أهل فلورنسا بما يغدقونه عليهم من الهبات، واتخذوا هذه المدينة عاصمة الثقافة الأدبية، وكان من هؤلاء العلماء فسبازيانو دا بسيتشيالذي كان يعمل بائعاً للكتب وأميناً للمكتبات في فلورنسا، وإربينو، وروما، ثم ألف سلسلة بليغة محكمة في سير أعيان الرجال خلد فيها أسماء كتاب ذلك العصر وأنصار العلم فيه (F.kent, 2004, p. 5).

أراد لورينزو أن ينمي هذا التراث والوعي الفكري وينقله إلى الأجيال القادمة فأعاد إلى الوجود الجامعة القديمة في فلورنسا ونقل مقرها إلى بيزا حيث أصدر بذلك قرارا في 22ديسمبر1473، وعين نفسه عضوا في مجلس إدارتها، بالإضافة إلى إعادة بعث المجمع العلمي الأفلاطوني في فلورنسا ووسع نطاقهما من ماله الخاص (ل.عوض، 1987، ص 125).

لم يكن مجمع فلورنسا العلمي كلية رسمية بل كان هيئة من العلماء المولعين بفلسفة أفلاطون، يجتمعون في فترات غير منتظمة في قصر لورينزو بمدينة فلورنسا أو في قصر فتشينو الريفي في كاريجي فيقرؤون بصوت عال محاورة من محاورات أفلاطون أو أجزاء منها، ثم يتناقشون فيما تحتويه من آراء فلسفية (C.Mee, 2018, p. 45)، وكان المجمع يحتفل باليوم السابع من نوفمبر، وهو اليوم الذي يعتقدون أن أفلاطون ولد ومات فيه، احتفالا لا يكاد يقل روعة ومهابة عن الاحتفالات الدينية، فكانوا يتوجون بالأزهار تمثالا نصفياً لأفلاطون، ويوقدون أمامه مصباحاً كما توقد

المصابيح أما صور الآلهة. وكان بين من يحضرون مناقشات المجمع العلمي الأفلاطوني بوليتبيان، ومرسيليو فيتشينو (و.ديورانت، 1998، ص 217).

3.2.7 العمارة والفنون في عصر لورنزو:

واصل لورنزو في حماسة بالغة تقاليد آل مديتشي القديمة في دعم الفن، يشهد بذلك ما كتب عنه، فيقول غيشارديني أن لورينزو بلغ من شدة إعجابه بآثار العهود القديمة لأنه لم يكن شيء أحب إليه من هذه الآثار، حتى أصبح كل من يريدون التقرب إليه؛ يجمعون من كل أنحاء العالم ميدليات، عملات نقدية قديمة، تماثيل وكل ما طبع بطابع اليونان أو روما القديمة ليهدوها إليه (F.kent, 2004, p. 3).

وأضاف لورينزو ما جمعه من مخلفات العمارة والنحت إلى ما خلفه كوزيمو وبييرو، ووضعها كلها في حديقة قائمة بين قصر آل ميديتشي ودير سان ماركو، وسمح لكبار الزوار والعلماء الموثوق بهم أن يدخلوها، وعين راتباً لمن كان يظهر الجد أو تلوح عليه سمات النجابة من الطلاب- وكان من بينهم الشاب ميكل أنجيلو-ليعيشوا منه، كما كان يمنح الجوائز لمن يظهر منهم كفاية ممتازة. وفي ذلك يقول فاساري: ومن أهم ما سيلفت النظر أن جميع من كانوا يدرسون في حديقة آل مديتشي، وكانوا من المقربين للورنزو، قد أصبحوا من رجال الفن الممتازين (ل.عوض، 1987، ص 122)، ويرجع الفضل كل الفضل في هذا إلى عظيم الحكمة هذا الرجل العظيم المناصر للفنون الذي لم يكن صادق الحكم على العباقرة فحسب، بل أوتي فوق ذلك من الإرادة والقوة ما استطاع به أن يكافئهم على نبوغهم (ب.ستراييرن، 2015، ص 60).

لقد ازدانت فلورنسا وإيطاليا عموما بفضل تشجيعه، وبفضل أمواله في كثير من الأحوال، بمجموعة كبيرة من المباني الرائعة التي كانت ملكاً للمدينة أو الأفراد . وكان من هذه الأعمال إتمامه كنيسة سان لورينزو والدير القائم في فيسولي، واستخدامه جوليانو دي سنجلو لتخطيط دير خارج باب سان جلو. الفنان ميكلوتسو ميكلوتسي الذي كلف بتشييد ضريح لبييرو، كما شيد جليانو

قصراً ريفياً فخماً في بوجيو أكايانو وبلغ من جماله أن أوصى به لورينزو ملوك نابلي حين طلب إليه هذا مهندساً يعمل عنده (ل.عوض، 1987، الصفحات 122-123).

كانت المشاريع المعمارية والفنية التي شيدت في عصره بأمر منه و رعايته كثيرة جدا حتى وصل الأمر بالمؤرخين إلى القول أنه ليس هناك أثر فني واحد من نحت أو تصوير أو عمارة في عصره إلا وكان لورينزو دي مدتشي وراءه، فحقق بذلك درجة من التميز لم يكن يتصورها أي من أسلافه بحيث جعل النهضة الفلورنسية ظاهرة دولية حقيقية، كما كان السبب الرئيسي في جعل ثقافة عصر النهضة في متناول الناس داخل فلورنسا وخارجها فحظي بالاحترام والتقدير باعتباره سياسي أنقذ فلورنسا وإنساني لا مثيل له.

خاتمـة:

في ختام بحثنا يمكن حصر النتائج المتوصل إليها في النقاط التالية:

– كان لابد للموروث الحضاري لفلورنسا، والذي تجد فيه قيم الحرية أسمى تعابيرها، أن يجد سبيله إلى التخلص من الحدود التي فرضتها عليه السلطتين الزمنية والدينية طيلة قرون، فانعكس ذلك بالإيجاب على المدينة التي نجحت في أن تصبح جمهورية حرة منفصلة عن الدولة الإقطاعية وعن السلطة الروحية للكنيسة الكاثوليكية، ذلك أن القائمين عليها أناس أحسنوا استغلال الظروف والأوضاع المتوفرة فيها وتمكنوا من التكيف معها، وتلك كانت حقيقة جديدة تماما لا قبل لها في حضارة العصور الوسطى.و يظهر جليا من خلال ملاحظة تميز شمال إيطاليا عن جنوبها؛ الذي استمرت سيطرة السلطة البابوية عليه، فقد تمكنت فلورنسا من إحداث تغييرات ظلت تبدو مستحيلة الحدوث.

– كانت رغبة وطبيعة الفرد الفلورنسي في التحرر من النظم والتعاليم المستبدة، التي تحكمه سببا في التحولات التي أحدثها في كل المجالات، فأعلن ثورته على النظام الأوليغارشي، الذي طبقته الأسرة الحاكمة في المدينة، وتمكن من قلب نظام الحكم الذي ساهم في تردي أوضاع المدينة.

– أما من الناحية الاقتصادية، فكانت أفكار الفلورنسيين المتحررة عاملاً مهماً في التطور الكبير الذي بلغته المدينة من ازدهار وثراء، حيث اشتغلوا بالتجارة وتمكنوا من تكييف موقع المدينة

في الإقليم لصالحهم وسيطروا على أهم الطرق التجارية، ثم انتقلوا إلى الخارج وقاموا بعدة توسعات أكسبت المدينة موقعا استراتيجيا مهمًا، فأصبحت بذلك من أهم المدن التجارية في أوروبا، وساهمت بذلك في إرساء دعائم نظام جديد يختلف تمامًا عن النظام الإقطاعي الزراعي، وكانت عاملاً في انتشاره في أوروبا بفضل علاقاتها الخارجية وفروع مصارفها وشركاتها التجارية الموجودة في معظم أرجاء القارة.

-لقد تمكنت فلورنسا من أن تصبح مآلاً لتراكم رؤوس الأموال وتركزها في أيدي أفراد أسرة آل مدتشي البورجوازية، التي وظفتها في ترقية الحياة الفنية والثقافية في المدينة، فراحت تتنافس فيما بينها في شراء الكتب والمخطوطات النادرة، وإقامة المكتبات والمجامع العلمية، والمعاهد الفنية واهتمت بكل ما هو جميل في الأدب والفن، مما أدى إلى تغيير جوهري في طرق التعبير لدى الفلورنسيين، فظهرت مجموعة من المبدعين أثروا فلورنسا بأعمال كبيرة هزت أفكارها أسس المجتمع القديم وقيمه الفكرية، ونقلته إلى مرحلة جديدة جردت فيها الكنيسة من جزء هام من نفوذها وهيمنتها على عقول الناس.

- اتقن أمراء آل مدتشي لعبة السياسة جيدا؛ فإلى جانب القوة المادية التي اكتسبوها فقد حصلوا على دعم اجتماعي كبير بفضل المجهودات التي بذلوها في سبيل دعم الآداب والفنون في المدينة وفي مقدمتهم كوزمو و حفيده لورينزو.

- ونظرا للدور الذي لعبته فلورنسا في ذلك، فقد أضحت جديرة بأن توصف بالعاصمة الثقافية والفنية لأوروبا خلال القرن الخامس عشر، وهذا التحول كان إيذانًا بميلاد عهد جديد يمتد تأثيره ليشمل معظم أرجاء أوروبا.

- ويبدو أن الدرس الذي ننتهي إليه يكمن في أن فلورنسا هي ثمرة مجهود متوارث وحرية مكتسبة رعتها أيادي الأمراء من آل مدتشي الذين عملوا جيلا بعد جيل على الارتقاء بمدينتهم إلى ألآفاق ولم يوفروا في سبيل ذلك أي مجهود.

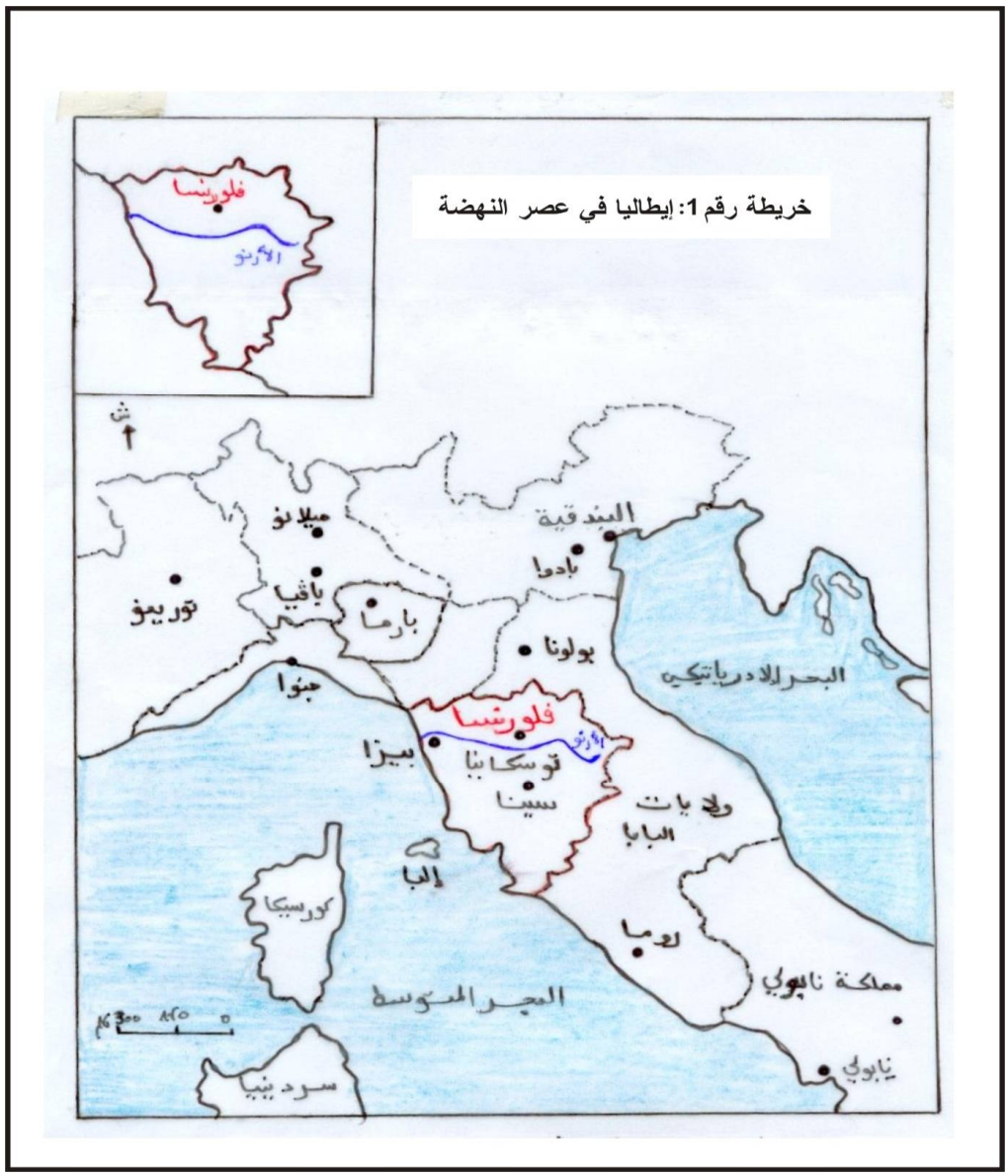

المصدر: B.Greengrass Howarth, 1993, p28 الملحق رقم 1:

قائمة المصادر والمراجع:

أولا الكتب باللغة العربية:

1. عبيد،إ (2006). **التاريخ الحديث والمعاصر-عصر النهضة الأوروبية-**. القاهرة. دار الفكر العربي.
2. ياغي أحمد،إ. (1993). **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**. (ط3). الرياض: دار المريخ للنشر.
3. ستراثيرن، ب. (2015). **موت في فلورنسا أسرة ميديتشي وسافونارولا والصراع على روح النهضة** (ط1). الإمارات العربية المتحدة: هيئة أبو ضبي للسياحة والثقافة، مشروع كلمة.
4. سليمان نوار،ع، مُحَمَّد جمال الدين،م. (1999). **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**. مصر: دار الفكر العربي.
5. راشد عصمت ،ز (1986). **تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن 16 إلى نهاية القرن**. القاهرة: دار الفكر العربي للنشر.
6. مُحَمَّد صالح سيد،أ .(2009) .**أصول التاريخ الأوروبي الحديث** (ط1). قطر: دار واثا للنشر الرقمي.
7. الجمل، ش، إبراهيم، ع .(2000). **تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة**.القاهرة :المكتب المصري لتوزيع المطبوعات.
8. البشناوي،ع (1982). **أوروبا مطلع العصور الحديثة** (ط4). مصر: المكتبة الأنجلو مصرية.
9. رمضان،ع .(1997) .**تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث من ظهور البورجوازية إلى الثورة الفرنسية** (ج1). الإسكندرية :الهيئة المصرية العامة للكتاب.
10. عوض، ل .(1987) .**ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية** (ط1) .القاهرة :مركز الأهرام االترجمة والنشر.
11. المقرحي،م .(1996). **تاريخ أوروبا الحديث** (1848-1453). مصر: مكتبة الإسكندرية.
12. فؤاد،م. (1987). **مجلد المعرفة** (المجلد 13). بيروت: اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة.
13. حاطوم، ن. (1968). ت**اريخ عصر النهضة الأوروبية**. دمشق: دار الفكر.
14. فيشر،ه .(1966) .**تاريخ أوروبا العصور الوسطى** (ط3). (ج2). مصر :دار المعارف.
15. ديورانت،و .(1998).**قصة الحضارة_النهضة**. _(المجلد 5) .بيروت :دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.

ثانيا المراجع الأجنبية:

1. C.Hibbert. (1974), The House of Medici its rise and fall, Harper Collins publishers LTD, London.
2. C.Mee. (2018), Lorenzo de Medic, Horizon new word city, United States
3. Ch.Yriarte. (1897), Florence its history, the Medici, the humanists letters, Arts. Henry T.coates and Co, Philadelphia.
4. E.Gebhart. (1879). les origines de la renaissance en Italie, librairie Hachette, Paris.

5. F.kent. (2004), Lorenzo de Medici and the art of magnificence, The Johns Hopkins university press, London.
6. F.Nathan. (1982), le Moyen âge et la Renaissance, (J. Cirot, Trad.) Paris.
7. F.Perennes. (1877), histoire de Florence (Vol. 1), librairie Hachette, paris.
8. Howarth, B, (1993), Atlas de la renaissance, Editions du Fanal, Espagne.
9. I.Hutchinson. (1996), Oriental trade and the rise of the Lambard commune. Quarterly journal of economic , XVI.
10. J.Dubreton. (1958), La vie quotidienne à florence au temps des Médicis, libraire Hachette, paris.
11. L.Angelucci, F. (2011), Renaissance. Révolution dans les arts en Europe.1400-1530. Italie.
12. M.Mourre. (1998), Dictionnaire Encyclopédique d'histoire, (Vol. 3) d-f, Berger, Levrault, Nancy.
13. P.Boglioni, R.Delort, & C.Gauvard. (2002), Le petit peuple dans l'occident médival, édition de la Sorbonne, Paris.
14. P.Larivaille. (1975), La vie quotidienne en Italie au temps de Machiavel, librairie Hachette, Paris.
15. R.Davis, & B.Lindsmith. (2011). Renaissance People,Tames and Husdson éditons, USA.
16. T.Parks. (2006). Medici Money, Banking, Metaphysics and Arts in fifteenth centry Florence, W. W. Norton & Company, London.
17. Y.RENOUARD. (2006). Histoire de Florence, éditions Jean-Paul Gisserot, paris.